Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لكن حتى لو ضاع العنصر الغنائى الخالص ، فإنه يبقى فى القول نوع من الكيفية الحسية الناشئة عن نظام وترتيب الأصوات المتحركة والأصوات الساكنة فى الألفاظ . وفضلا عن ذلك فإن لبعض الحروف إذا ما تكررت جرساً جميلا خاصاً ، مثل حرفى S،ʿy لأنهما يزيدان من اللعاب فى فم من ينطق بهما . وهذا ظاهر فى بيت أعشى قيس المشهور :

وقد غدوت إلى الحانوت يتبعنى شاو مشل شلول شلشل شول

فترديد هذه الشينات يعطى جرساً جميلا للبيت على الرغم من ضآلة بل تفاهة المعنى الذى يعبرعنه . بل إن اللغات تتفاوت فيما بينها من حيث قدرتها على توفير أكبر قدر من حسن الجرس فى الشعر المكتوب بها . وهو ما عبر عنه بيرن فى قصيدة يقارن فيها بين جمال اللغة الإيطالية وعدم جمال اللغة الإنجليزية . قال : « أحب اللغة الإيطالية ، تلك اللاتينية المهجنة الرقيقة التى تذوب كالقبلات المسفوحة من ثغر امرأة وترن كأنها ينبغى أن تكتب على الساتان بمقاطع تتنفس أنفاس الجنوب العذب ، وحروف ساكنة سائلة تجرى الهوينا فلاتخرج منها نبرة واحدة غريبة من نوع صفيرنا الشمالى الحلقى الناخر الذى نضطر إلى أن نفحه ونبصقه » .

لكن إلى جانب هذه الخصائص الأصيلة فى اللغات والمتباينة بين الواحدة والأخرى يمكن الحصول على حسن الجرس عن طريق الوزن ، أى عن طريق نظم الألفاظ على نحو من شأنه أن يحدث تطريباً .

والشعر يشبه الزجاج الملون فى النوافذ : فبينما الزجاج الشفاف لا يصلح إلا لتوفير النور ، نجد الزجاج الملون يسمح بنفوذ النور وصبغه بألوان تتعشقها الأبصار ، وتفعل فيها فعل السحر . فكذلك الشعر : يصبغ الألفاظ بألوان تأسر الانتباه وتضفى على الألفاظ سحراً .